الملكة فكتوريا والأمير ألبرت

عشق في ويندسور

تبارت الأقلام تكتب عن قصة الملكة التي ظلت في حالة حداد على موت زوجها لمدة 40 عامًا، وصارت قصتها محط اهتمام الصحف والقائمين على صناعة السينما لتخليد قصة حب دامت حتى بعد وفاة الزوج 40 عامًا، بل لقد ظهر كتاب مؤخرًا اسمه "زوج الملكة فكتوريا"، تناول أسرار ذلك الحب الحقيقي من الملكة فكتوريا لزوجها ألبرت.

ويشير الكتاب إلى أن ذلك الحب قد دمر حياتها بعد وفاته المفاجئة المبكرة بسبب التيفوئيد وهو لم يتجاوز سن الثانية والأربعين من العمر.

في هذا الكتاب يقتفي المؤلف أثر الكثير من اليوميات والأسرار التي تؤكد صدق هذا الحب، إذ أن الملكة أعلنت بعد وفاته أنه لا توجد قوة إنسانية على الأرض ستجعلها تنحرف عما قرره وتمناه ألبرت، وربما أن فقدان الزوج هو السبب الحقيقي لعزلتها لاحقًا وهيمنة الكآبة على حياتها، إذ بقيت تندبه طوال حياتها وهي متشحة بالسواد.

كانت فيكتوريا ملكة بريطانيا العظمى وإيرلندا وإمبراطورة الهند أيضًا، ولدت في 24 مايو 1819، والدها هو الأمير إدوارد دوق كينت والأم الأميرة ماري لويز، لقد كانت فكتوريا فتاة مفعمة بالحيوية والمرح وتحب الرسم والتصميم، وقد ورثت عرش إنجلترا بعد وفاة عمها الملك وليام الرابع، وكانت فيكتوريا آخر حاكم بريطاني يترك بصماته على الحياة السياسية في البلاد.

وفي عام 1840 تزوجت الأمير ألبرت ابن خالها، الذي أصبح عشيقها وزوجها ومستشارها، ولم تكن تفعل شيئًا دون مشاورته، في البداية لم

يكن يحظى ألبرت بشعبية كبيرة لأنه ألماني الجنسية، ثم بدأ الناس يعجبون بصدقه ودماثة خلقه وإخلاصه للعائلة الحاكمة.

وقد أنجبت فكتوريا من ألبرت تسعة أبناء، أربعة أولاد وخمس بنات،كانت فكتوريا تحب زوجها حبًّا جمًّا وتعتمد على نصيحته في الكثير من شئون الحكم، وروي أنها عندما أتته يومًا تدق باب حجرته، تساءل: "من بالباب"، فأجابت: "الملكة فكتوريا"، فأجابها: "عودي فأنا لا أعرف أي ملكات"، فعادت تطرق بابه مرة أخرى فسألها مرة ثانية: "من بالباب"، فأجابته: "حبيبتك فكتوريا وزوجتك".

لم يثبت صحة تلك الواقعة، ولكنها كتبت في كل الأدبيات التي تناولت قصة عشق فكتوريا وألبرت، وبالتأكيد لم يكن ألبرت يفعل ذلك ليهين الملكة، ولكنه أراد أن يعلمها أن الزوجة في حضرة زوجها يجب أن تنسى خيلاء الملك وغروره، وأكيد أن فيكتوريا استوعبت ذلك ووضح هذا من قولها له: "أنا حبيبتك فيكتوريا"، لم تغضب وتظن بزوجها أنه يغار من كونها ملكة البلاد.

كان فيكتوريا وألبرت قد ارتبطا عندما كانا في سن التاسعة عشرة. وكانت والدة فكتوريا أخت والد ألبرت، دوق إرنست ساكس كوبورج سالفيلد، وكانت هناك ضغوط داخل الأسرة من أجل زواجهما، كانت فكتوريا تقول عنه "آه كم كنت أحبه، كم هو حجم حبه، كيف تفانيت له، وكم كنت أحبه بحماسة"! هكذا كانت تهتف فكتوريا التي أعجبت بعقل ألبرت الذي كان طويل القامة، وشابًّا دقيق المظهر له شعر داكن وعينان زرقاوان دامعتان.

وفي المراحل المبكرة من علاقتهما كتبت فكتوريا في يومياتها: "لقد كان عندي بعض العاطفة التي دفعتني إلى أن ألتقي بألبرت الذي كان

شخصًا جميلًا"، كما تصف في مكان آخر بمذكراتها بعضًا من صفاته الجمالية وفروسيته وقلبه الطيب.

وكانت فيكتوريا توقّع رسائلها لألبرت بـ"فيكتوريا أر"، وبعد ليلة زفافهما كتبت تقول في مذكراتها: "لم أعش مثل تلك الليلة من قبل"!

وبمرور الوقت أصبح لألبرت تأثيرًا ثابتًا على زوجته. وفيما كانت فكتوريا محبة لمتع الحياة كان ألبرت جديًا وملتزمًا، وكان لديه إحساس قوي بالمسئولية، وكان يكره السهر لوقت متأخر من الليل، وفي بعض الأحيان كان ينام في صالة الحفل، ولم يتعامل أبدًا مع أي امرأة أخرى سواها، وعمل بلا كلل لصالح بلد زوجته، وكان من الأشخاص المهتمين بالعلوم والتكنولوجيا والطب والزراعة والفن والموسيقى والدين، وكان مصممًا على أن تكون الأسرة الحاكمة قدوة للبلد بأسره في مجال العمل والحشمة والولاء والتفاني في العمل.

وحين توفي ألبرت عام 1861 أصيبت فكتوريا بإحباط وحزن عميقين، ولم تظهر على العامة لمدة ثلاث سنوات، وفي جنازته وقد وضعت كماشة شعرها على تابوته. وبجانبه وضعت أيضًا قصاصات من الشعر الطويل التي تعود لبناتهما الخمسة. ووضعت في يد الأمير المتوفى، وقبل أن يوضع عليه غطاء التابوت صورة، كانت عبارة عن لوحة لها، وكانت هي الصورة المفضلة لألبرت من بين صور زوجته الأخرى. وكان الزوجان يصفانها باللوحة "الخاصة" لأنها صورة تظهر فيها فكتوريا وهي في سن الرابعة والعشرين واقفة في لقطة جريئة.

وقالت فكتوريا عنه إنه كان زوجها وصديقها المقرب وأباها وأمها، وظلت على حدادها عليه حتى توفيت عام 1901، وطوال 40 عامًا بقيت الملكة فكتوريا وفية لما قرره وتمناه زوجها ألبرت في حياته، وأمرت بعدم إجراء أي تغيير على أيٍّ من غرف ألبرت للمحافظة على

خصوصيتها، بالرغم من ترديد البعض أنها بعده أحبت أحد رجال قصرها وهو السير جون براون، وترددت إشاعات عن حب غامض بينها وبين معلمها الشاب المسلم الهندي عبد الكريم.

ولكن تبقى كل تلك الروايات مجرد إشاعة بجوار ما تفعله فكتوريا بالفعل تعبيرًا عن حزنها لفقد ألبرت، فقد واصلت فكتوريا ذرف دموعها لأشهر وسنوات بعد وفاته، ووصفت بـ"أرملة وندسور"، وظلت تعيش وهي تقاوم فقدانها زوجها لمدة أربعة عقود، وطوال ذلك الوقت ارتدت فقط الملابس السوداء، وفي بعض الأحيان بدا الأمر كما لو أنها مستأنسة بحزنها. وكتبت إلى واحدة من بناتها: "نعم، أنا منذ فترة طويلة أتوق إلى حزني".

وكانت في كل يوم تنثر الزهور البيضاء النضرة والعطور على سرير الأمير ألبرت وتجثو بجانبه لتصلي. كما تضع الكثير من الزهور على مكتبه كل صباح. وتقوم بتجديد الحبر في محبرة قلمه وتضعها بجانبه، ويتم تنظيف ومسح الأريكة التي كان يضع عليها قبعته وقفازيه ومنديله، وعلى طاولته الخاصة بالتزين يتم ملء وعاء الحلاقة بالماء. وقد حفظ جميع خدمه وظائفهم. وكما هو الحال مع جميع من هم حول الملكة، فقد أجبر الخدم على ارتداء الملابس السوداء فقط، وفي الليل اعتادت عند ذهابها إلى النوم أن تمسك ببعض من ملابس النوم الخاصة بألبرت حيث تضع معطفه فوق غطاء سريرها، كما علقت فوق وسادته التي بجانبها صورة الأمير ألبرت ومن ثمَّ في وقت لاحق علقت لوحة تذكارية، وحينما تذهب إلى النوم، كانت كل ليلة تتجه أفكار فكتوريا الأولى نحو الموت.

ولفترة طويلة ظلت الملكة تعتقد أنها سوف تموت من الحزن. وقد وصفت نفسها بأنها عجوز ومحطمة ومنكسرة على الرغم من أنها كانت في الثانية والأربعين من العمر. وكتبت وصيتها وعينت أوصياء على أطفالها التسعة، كما أنها تقلدت بالمجوهرات بما فيها تلك التي كان يضعها ألبرت على شعره.